الثائر الرباني

الثلاثاء 11 مارس 2014 12:03 م

محمد منصور

(إن كـل إنسـان ـ كائنـاً مـا كان ـ ينطوي على مناجم إلهيـة، من العبقريات الفـذة، و الطاقات الجبارة، و الإمكانات المتميزة، و كنوز من القيم و الفضائل؛ و نحن أحوج ما نكون في هـذا الظرف الحرج من عمر الوطن إلى كل ذلك، سواء في مرحلـة مناهضة و كسـر الانقلاب أو ما بعدها.

و لا سبيل إلى إثارة هذه المناجم النفسـية إلا أن تثيرها باسم الله العلي الكبير؛ فاسم الله وحده هو مفتاح هذه الكنوز الربانية المغلقة، و لا يضع الله هـذا المفتاح إلا في يـد العبد الرباني؛ الذي يتخلق بصـفات الربانية الفاضـلة؛ يجاهد نفسه حق المجاهدة، و يقمع هواه في غير هوادة؛ فيفضـي بذلك إلى ما شاء الله من بطولة و توفيق (و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سـبلنا؛ و إن الله لمع المحسنين) العنكبوت:69 " تذكرة الدعاة/ البهي الخولي" بتصرف

و لهذا كانت وصية الأستاذ البنا: (كونوا عباداً قبل أن تكونوا قواداً؛ تقودكم العبادة إلى أحسن قيادة).

أضف إلى ذلك ـ و الكلام للشـيخ محمد الغزالي رحمه الله ـ " أن الحق الذي نعمل لاستقراره لابد أن يستقر، و الباطل الذي نكدح لبواره لابد أن يبور و لكن متى ؟ ليس ذلك الينا و لا توقيته في مقدورنا ".

إذ ليس لنا من الأمر شيء، إلا كما فعل النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ و الصحابة الكرام يوم الخندق، نتابع الحفر و لا نستعجل الريح؛ إذ أمرهـا إلى الله وحـده، و على الثـوار ـ و الكلام للشـيخ الغزالي ـ " أن يعملوا و لـذتهم ليست اقتطـاف الثمر العاجـل؛ و إنمـا لـذتهم في الشعور بتوفيق الله، و الامل في إرضائه.

(و أنت واجد تفسـير ذلك كله بصورة عملية واقعية، في تاريخ الغر الميامين الربانيين الذين خرَّجهم رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ ، و صـاغهم بعين الله أبطالاـ؛ فتحوا أقطـار الأـرض؛ لأـنهم فتحوا قبل ذلك أقطار النفوس، و أضاءوا الـدنيا بنور الحق، و انبعثوا إلى تخليد الباقيات الصالحات من الأعمال و الأخلاق و المبادئ؛ فأتوا من ضـروب البطولات النفسـية و المادية ما يدهش الألباب، و يعجز الأبطال، و يشبه الأساطير؛ لأنهم انبعثوا بهمة لا ترى لها متعلقا دون عرش الله عز و جل، فلو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء، كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و أين هؤلاـء من أولئـك المطموسـين من الانقلابيين وعبيـد البيادة، الـذين ضـلوا السبيل، و انقادوا لعـدونا و قلـدوا الغرب تقليـد القرود و الببغاوات؛ فاصـطنعوا مبادئ سياسـية و اقتصادية و اجتماعية، ذات شـعارات تستر أطماعا و مآرب باطلة، و اتخذوا أحزابا و أندية تخطط للمغـانم، و ينبعثون منهـا للفسـاد و السـحت، و لاـ تجـد لها من خلال ذلك سوى أحفال و اجتماعات و أقوال، قـد يبرق ظاهرها بالخـداع و التمويه، و لكن باطنها يخلو من أي مضمون تشهد له الفطرة أو تنظر إليه معايير العقل؛ حتى غدوا فارغين لا قيمة لأعمالهم و لا لأقوالهم). تذكرة الدعاة/ البهي الخولي" بتصرف

و خلاصـة القول، أننـا نحتـاج إلى ثـائر ربـاني مخبت أواب، وثيق الصـلة بالله، يعيش عبوديـة انتظار الفرج من الله القريب المجيب؛ فهو ـ سبحانه ـ سـندنا الأول و الأخير، و ما بينهما هو أخذٌ بالأسـباب؛ تعبدا لله؛ فنحن نوقن أننا لسـنا وحدنا في المعركة؛ فالله معنا؛ فهو يعلم و يرى و يسمع، و لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا؛ ألا ترى هذه اللفظة المعجزة؟، إنه قال "لنا" و لم يقل "علينا"؛ و هذا يكفي.

و من أجل هذا مكملين.